



Volume 8, Issue 5, May 2021, p. 52-64

**Article Information**

*Article Type: Research Article*

*This article was checked by iThenticate.*

Article History:  
Received  
04/02/2021  
Received in revised  
form  
25/05/2021  
Available online  
28/05/2021

## THE RIGHTS OF THE DHIMMIS IN THE ISLAMIC HERITAGE

**Raghad Jamal Manaf Al-Azzawi<sup>1</sup>**

### **Abstract**

The people of the dhimma constitute one of the classes of the Islamic community, and the dhimma means in the language "covenant, safety and security." This term is applied to people of other religions, especially Christians, who have remained faithful to their religion and lived in Islamic societies in exchange for payment of the jizya that is defined by Islamic Sharia. Like practicing their rituals and rituals, without interference from the state, according to the Almighty saying, "I have no religious commitment." God be upon him, his family, and his companions "in his dealings with the Christians when the invasion of Tabuk came out,

Democracy and respect for the rights of non-Muslims reached during the reign of Imam Ali (peace be upon him), who was the Caliph and stood before the judge, with his opponent, the Christian soldier, and when the Imam did not find sufficient evidence to prove this sword his sword, the Imam gave his sword to the Christian soldier, meaning justice and tolerance It was enjoyed by these Christians and even the Jews during the Islamic rule.

The presence of Christians among Muslims was a reason for the emergence of the principles of tolerance advocated by modern reformers, and this common coexistence created a kind of harmony and a kind of tolerance that was not known in Europe in the Middle Ages.

**Keywords:** Dhimmis, Christians, Jews, coexistence, tolerance, monasteries.

---

<sup>1</sup> Asist. Prof. Dr. Raghad Jamal Manaf Al-Azzawi, Iraq, Baghdad University College of Education, Ibn Rushid for Human Sciences.

## حقوق أهل الذمة في التراث الإسلامي

أ. م. د. رعد جمال مناف الغزاوي<sup>2</sup>

### الملخص

لقد شكل أهل الذمة فئة من فئات المجتمع الإسلامي، ويقصد بأهل الذمة في اللغة وهي تشمل كلمة ( العهد والامان والضمان ) ، فأطلق هذا المعنى على بعض الأديان والمقصود بهم اصحاب الكتب والرسول السماوية لاسيما فئة النصارى الذين بقوا على دياناتهم وعاشوا مع المسلمين بمحبة في المجتمع الإسلامي تحت حكم أسلامي عادل يضمن لكل أفراد المجتمع أيا كانت ديانتهم حياة حرة كريمة.

لقد دفع (أهل الذمة) الجزية في مقابل البقاء مع المسلمين في الدولة العربية الإسلامية، وقد حددت الشريعة الإسلامية مقادير الجزية ، لابد من الاشارة ألى أن الإسلام اعطى الحرية الدينية لأهل الذمة من خلال ممارسة شعائهم وطقوسهم دون تدخل من الدولة وفقا لقوله: تعالى( لا اكره في الدين ) ، أما الآية القرآنية الأخرى اشارت الى حرية اختيار الديانة لأهل الذمة (لكم دينكم ولي ديني) مما يدلنا أن القرآن الكريم قد اعطائهم حرية تامة لممارسة دينهم، وهذا ما اكدت عليه السنة النبوية الشريفة حيث قال الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) (من اذى ذميا فقد اذاني) ، والذي طبقة الرسول الاكرم(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) في تعامله مع النصارى عندما خرج في غزوة تبوك.

**الكلمات المفتاحية:** أهل الذمة ، النصارى ، اليهود، التعايش ، التسامح، الاديرة.

### المقدمة

لقد شكل أهل الذمة فئة من فئات المجتمع الإسلامي، فأطلق هذا المعنى على بعض الأديان والمقصود بهم اصحاب الكتب والرسول السماوية لاسيما فئة النصارى الذين بقوا على دياناتهم وعاشوا مع المسلمين بمحبة في المجتمع الإسلامي تحت حكم أسلامي عادل يضمن لكل أفراد المجتمع أيا كانت ديانتهم حياة حرة كريمة. لقد دفع (أهل الذمة) الجزية في مقابل البقاء مع المسلمين في الدولة الإسلامية، حسبما حددته الشريعة الإسلامية ، لابد من الاشارة ألى أن الإسلام اعطى الحرية الدينية لأهل الذمة من خلال ممارسة شعائهم وطقوسهم دون تدخل من الدولة وفقا لقوله: تعالى( لا اكره في الدين ) ، أما الآية القرآنية الأخرى اشارت الى حرية اختيار الديانة لأهل الذمة (لكم دينكم ولي ديني) مما يدلنا أن القرآن الكريم قد اعطائهم حرية

<sup>2</sup> جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية.

تامة لممارسة دينهم، وهذا ما اكدت عليه السنة النبوية الشريفة حيث قال الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) (من اذى ذميا فقد اذاني) ، والذي طبقة الرسول الاكرم(صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) في تعامله مع النصارى عندما خرج في غزوة تبوك،

لقد تحدث المورخون القدامى وحتى المستشرقون الحديثون عن العدالة التي حققها الامام علي (عليه السلام) في عهد وقيل انهم لقبوه برائد الانسانية وهو من مؤسسي حقوق الانسان ويبدو ذلك واضحا من خلال نصا تاريخيا يبين المعنى الحقيقي للتعایش السلمي بين أهل الذمة والمسلمين تحت حكم ، فنلاحظ ان الخليفة والحاكم وقف امام القاضي، مع خصمه الجندي النصراني، وعندما لم يجد الامام الحجة الكافية لاثبات هذا السيف سيفه، فقام الخليفة علي (ع) باعطاء سيفه للجندي النصراني، اي عدل وتسامح، حظي به هؤلاء النصارى وحتى اليهود اثناء الحكم الاسلامي.

مما يدل أن هذا التعایش السلمي بين أهل الذمة والمسلمين هي كانت من أسباب لظهور مبادئ التسامح والحرية والمساواة التي نادى بها المصلحون المحدثون ورواد الانسانية فيما بعد، لان هذا التعایش السلمي المشترك، أوجد نوعا من الوفاق والتسامح لم يكن معروفا في اوربا في العصور الوسطى.

ولابد من الالتفات الى ان البحث تناول فقط أبرز المدن في المشرق (بغداد/ مصر) لما لهاتين المدينتين من دور هام في التراث الاسلامي، واما في المغرب(الاندلس) مثلا على التعایش السلمي بين المسلمين واهل الذمة (اليهود، النصارى). لان هذه المدن كان فيها عدد اهل الذمة كبيرا نوعا ما، من خلال السماح لهم بممارسة كافة حقوقهم وحياتهم الدينية والاجتماعية.

### 1-مكانة أهل الذمة في المجتمع الاسلامي:

لقد تمتع أهل الذمة والذين يقصد بهم( اليهود والنصارى والصابئة) أصحاب الكتب السماوية وهي (الديانة اليهودية والنصرانية) تحت الحكم الاسلامي بحرية كبيرة من حيث ممارسة معتقداتهم ودياناتهم وذلك لان الدين الاسلامي لم يفرض على أصحاب هذه الديانات اعتناق الاسلام ، بل بالعكس احترم كل حرياتهم وهذا ما لاحظناه مع الحاكم المسيحي أيلة، الذي أقبل على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لكي يعقد معه صلحا، وقد كتب له النبي صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) عهدا جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمة أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنه به رؤية واهل ايلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر، فمن احدث

منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه...وانه لا يحل ان يمنعوننا ويردوننا ولا طريقا يريدونه من براو بحر"<sup>(1)</sup>.  
ابن هشام، 1972/ ص46؛ الطبري، 1970، ج2، ص178).

ومما يلحظ ان هذا التعامل الاسلامي الذي ينم عن مبدا انساني تجاه كلا من (النصارى واليهود) والسماح بالعيش لهم في الدولة الاسلامية متمتعين بالحرية الدينية مقابل دفع الجزية كل حسب ما اقرته الشريعة الاسلامية وتقسم الى ثلاث طبقات : ان الجزية تؤخذ من المقاتلين، وتؤخذ على جماجم الرجال الاحرار البالغين وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين والمغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني، لاتؤخذ الجزية على النساء والصبيان وذوو العاهات <sup>(2)</sup>. (ابويوسف، 1302 هـ/ ص36).

مما يلحظ ان الاسلام لم يشترط من الجزية حتى المترهبون المسحيون الا اذا كانوا مساكين يتصدق عليهم كباقي المسلمين ، وكان مقدار الجزية حوالي دينار واحد وبمرور الازمنة زادت الجزية الى اربعة دنانير <sup>(3)</sup> (ابويوسف، 1302 هـ، ص37).

**يبدو من النص أن المسلمين فرضوا الجزية حتى على كبار رجال الدين النصارى واليهود ، والقصد من ذلك تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال مبدا التسامح، وكان من احدى نتائج هذا التسامح نشوء علم مقارنة الاديان، ويعني دراسة الملل والنحل على اختلافها، والاقبال على هذا العلم بشغف كبير <sup>(4)</sup> (متز، 1967، مج1/ ص75؛ الوردي، 2006/ ص171، و ص199).**

ولابد من الاشارة الى كتاب الخليفة عمر بن الخطاب(رض) الى القائد ابي عبيده عامر بن الجراح جاء فيه: (أقر بما افاء الله عليك ولا للمسلمين عمار الارض فهم اصحابها واقوى عليها ، ولاسبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فيئا ، وتقسم للصالح الذي جرى بينك وبينهم ، ولاخذك الجزية منهم ، بقدر طاقتهم ، فاذا اخذت منهم الجزية فلا شيء لك عليهم ، فاضرب عليهم الجزية وكف عنهم السبي ، وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم، واكل اموالهم الا بجلها ودون لهم بشرط الذي شرطت لهم في جميع ما اعطيتهم.) ، مما يبدو من النص ان الخليفة عمر بن الخطاب قد اشار الى المسلمين بعدم ظلمهم او حتى الاضرار بهم ومعاملتهم معاملة حسنة ، لابد من الاشارة الى ان اهل الذمة قد تمتعوا بالحرية في ظل الدولة الاسلامية، وذلك واضح من اعداد النصارى الذي لا يمكن تعيينه الاتعينا تقريبا، فقد بلغ في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب الذين دفعوا الجزية، خمسمائة الف انسان، بضمنهم (اليهود والنصارى)، أما في مصر وحدها فقد بلغ فيها حوالي ما يقارب الخمسة ملايين من القبط يدفعون الجزية، وبلغ مقدارها في بغداد

في اول القرن الثالث الهجري مائة الف وثلاثين الف درهم، وفي اوائل القرن الرابع الهجري، فقد بلغت حوالي مائة وستين الف درهم<sup>(5)</sup>،

ابن خردادبه /ص120؛ ابن عبد الحكم/ ص67-69).

وكان واحدة من نتائج التعامل الاسلامي السماح هو اعطاء اهل الذمة كافة حقوقهم من خلال السماح لهم بممارسة حياتهم بشكل طبيعي وهذا ما صرح به احد البطارقة القاطنين في مصر قائلاً "ان العرب الذين مكنهم الرب يعاملوننا على انهم ليسوا اعداء النصرانية بل يحترمون ملتنا ويوقرون قسيسنا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا و اديرتنا"<sup>(6)</sup>. (ابن عبد الحكم،/ ص71؛ حسن علي، 1986، ص134)

يبدو من النص أن اهل الذمة قد تمتعوا بالحرية الكاملة من خلال اعدادهم التي بلغت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ما يقارب خمسمائة الف انسان ، فيدلنا هذا النص كيف تعامل الاسلام مع هذه الفئة.

ولابد من الاشارة ان الدولة الاسلامية قد ضمنت لكل ديانة من هذه الديانات وخاصة النصرانية كيانهم الخاص، فكان لايجوز للمسيحي ان يتهود، ولا لليهودي ان ينتصر ولا يكون تغيير الدين الا اذا كان دخولا في الاسلام، ولم يكن النصراني يرث اليهودي ولا العكس، كمالم يكن اليهودي او النصراني يرث المسلم، ولا المسلم غير المسلم، يهوديا كان او نصرانيا<sup>(7)</sup>. (ابويوسف/ ص131).

## 2- صور من التعايش بين المسلمين واهل الذمة:

واذا القينا نظرة على اوضاع اهل الذمة في (بعض المدن الاسلامية) متخذين من المشرق (مدينة بغداد ومصر) والمغرب (الاندلس) مثالا لحقوق اهل الذمة) ، فقد تحدثت الروايات التاريخية باسهاب كبير حول صور أو مظاهر التعايش السلمي بين ( أهل الكتاب ) ( اليهود والنصارى ) مع المسلمين ولناخذ مثلا على ذلك:

لقد عمل الخليفة العباسي المامون ( 218/170 هـ ) الى اصدار كتابا (لاهل الذمة) ، وذلك لكي يضمن لهم حرية الاعتقاد وحرية تدبير الكنائس، ويكون لكل فريق منهم مهما كانت عقيدتهم، ولو كانوا عشرة انفس، ان يختاروا بطريقتهم، ويعترف له بذلك، ولكن رووساء الكنائس هاجوا واحدثوا شغبا، فعدل المامون عن اصدار الكتاب<sup>(8)</sup>. ( ابن الاثير ، 1966، ج2/ص172)

ويتبين من النص مدى احترام الخليفة لآراء رواساء الكنائس، حتى انه عدل عن قراره، وهذا غاية في التسامح. والسماح لاهل الذمة بممارسة عقائدهم وحررياتهم دون ضغوط من الدولة الاسلامية.

إن الخليفة المقتدر بالله (932/895 م) في سنة (311 هـ - 923 م)، قد كتب كتابا في المواريث امر فيه بان "ترد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثا، على اهل ملته"، في حين أورد أن تركة المسلم ترد الى بيت المال<sup>(9)</sup>. (ابن الاثير، 1966، ج3/ص 181).

أما الحادثة الاخرى التي تدل على التسامح، ماحدث في احدى المدن العراقية في القرن الثالث الهجري، ان رجلا من المتشددين في الاسلام، ع قد عذب احد النصارى ارتدوا بعد اسلامهم بصروف العذاب ليعيدهم الى الاسلام، فامر به القاضي فضرب وسجن، وفي ذلك قال الشاعر ابو العلاء المعري (ت 449 - 1057م)، قائلا:

وقد اسلم الرجل النصران مرتغبا  
 او شاء تزويج مثل الظبي معلمة  
 وليس ذلك من حب الاسلام  
 للناظرين باسوار وهلام<sup>(10)</sup> (ابن الاثير، 1966، ج3/ص 216).

من الملاحظ أن الفقهاء وأصحاب المذاهب الاسلامية قد اشاروا الى كيفية التعامل مع اهل الذمة من خلال كتبهم واحاديثهم ، فقد اشارت مصادر الى ان حياة الشخص الذمي عند ابو الامام حنيفة النعمان (767/699 هـ) والامام ابن حنبل (855/780 هـ) مساوية و تكافى حياة المسلم، وديتة دية المسلم، وكانت الدولة الاسلامية لاتتدخل في الشعائر الدينية لاهل الذمة، بل حتى ان بعضا من الخلفاء كانوا يحضرون مواكبهم واعيادهم، ويامرون بصيانتهم، ومن دلائل احترام الدولة للنصارى في حالة انقطاع المطر كانت الدولة تامر بعمل مواكب يسير فيها النصارى، وعلى راسهم الاسقف واليهود ومعهم النافخون في الابواق<sup>(11)</sup>. (متز/ ص 86؛ ابواسحق رفايل 1960/ص 161)

ويبدو من خلال النصوص الواردة اعلاه ان الدين الاسلامي تعامل مع النصارى بحرية وتسامح والدليل انتشار الاديرة المسيحية في كل اجزاء بغداد حتى كادت لاتخلو منها، كما سمح بعض الخلفاء العباسيين، لاهل الذمة بتشييد الكنائس والبيع، و السماح للنصارى بالخروج بصلبانهم في ايام اعيادهم كما لهم على المسلمين حق دمائهم و دفاع المسلمين عنهم امام اعدائهم، فنلاحظ انتشار الاديرة في مصر، مع ازدهار الحياة فيها<sup>(12)</sup>. (متز/ ص 88).

### 3- حقوق اهل الذمة في ممارسة دياناتهم:

لقد سمح الحكام المسلمون للنصارى ببناء الكنائس وفي بعض الاحيان ، كانت تهدم الكنائس ، وهذا حدث عندما هدم والي مصر علي بن سليمان (ت788م) الكنائس في مصر وبذل له خمسون الف دينار ، ليترك الهدم في سنة(169-170هـ)(785-787م)، بامر من الخليفة هارون الرشيد(149/193هـ)، فامتنع ثم جاء بعده وال اخر، فامر ببناء الكنائس التي هدم والي علي بن سليمان، فبنيت بمشورة الليث بن سعد ( 175/94هـ) وعبدالله بن لهيعة (ت 190هـ) ،وهما من قالوا: هو من عمارة البلاد، واحتجا بان عامة الكنائس، التي بمصر لم تبني الا في زمن الاسلام<sup>(13)</sup>. ( الكندي، 1980 /ص121)

### 4- المناصب التي تقلدها اهل الذمة في المجتمع الاسلامي:

يقتضى التنويه الى ان الدين الاسلامي سمح للنصارى بالعمل حتى اننا نجدهم قد مارسوا العديد من الانشطة و كانت اقدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الارباح الطائلة، فقد نجح اغليهم في اعمال الصيرفة والتجارة واصحاب الضياع والاطباء ، كما انهم قد شغلوا العديد من المناصب، وقد استعان بهم الحكام وولاة الاقاليم في الوظائف المختلفة، كما فعل الخليفة معاوية بن ابي سفيان ( 60/41هـ) ،الذي استعان بكاتب نصراني يعرف ( شمعل ) ، وكما اتخذ سليمان بن عبد الملك الكاتب والطبيب المسيحي (328/263م) يدعى ابن بطريق ، في حين نجد أن النصارى برعوا في مهنة الطب ، فعكّل العديد منهم في بلاط الحكام الامويين ، مثالا على ذلك الطبيب العربي النصراني وهو الطبيب الشخصي للخليفة لمعاوية المعروف باسم ( ابن اثال ) و( ابو الحكم الطبيب النصراني) (401/361هـ)(972/ 1010م) ، كما تمتع 0 اهل الذمة) ايضا في زمن الخلافة العباسية132/ 656هـ) بجميع حقوقهم وكامل حرياتهم، فكان رئيس النصارى في بغداد يدعى الجاثليق، وهو المسؤول امام الخليفة عن شؤون رعاياه من النصارى<sup>(14)</sup>. (حسن علي / ص134؛ متر/ ص 86 / اسحق رفائيل، ص66).

لقد شغل ( اهل الذمة ) ( النصارى ) العديد من المناصب الهامة في العصر العباسي، فضلا عن عملهم كاطباء في بلاط الامراء والحكام ، منهم الطبيب الخاص جورجيس بن بختيشوع (ت 801م) طبيب الخاص للخليفة الوجيه المنصور(136/158هـ) ،الذي دخل في خدمة الرشيد ومن ثم ولديه الامين(193/198هـ) والمأمون، كما عمل (اهل الذمة ) ومنهم النصارى، في بيمارستانات بغداد، معاملة المسلمين، فمنهم من يتولى معالجة المسلمين ، كاطبيب سنان بن ثابت(880/943م) وهو الطبيب الخليفة

الخاص، الذي عالج مرضى المسلمين في الوباء الحاصل في القرن الرابع الهجري<sup>(18)</sup>. ابن ابي اصيبعة/  
1965، ص187؛ متر / ص92)

ويضاف الى ذلك اشتغل اهل الذمة في دواوين الدولة ، وايضا اشتغلوا في التجارة وامور الصيرفة  
وشئون المال ، وقد تقلد النصارى في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي تقلد النصارى العديد من المناصب  
الهامة، فقد كان يدعو الخليفة المقتدر اربعة من النصارى الى طعامه كل يوم، وكان من ضمنهم الكتاب  
التسعة الذبن اختص بهم، وكما اننا نلاحظ انتشار الكتاب المسيح في كل مكان حتى ان محمد بن عبدالله  
بن طاهر(844/798هـ) اتخذ له قهرمانا مسيحيا<sup>(15)</sup>، كما ساهم اهل الذمة في تنشيط الحركة العلمية  
ولاسيما في مجال التعريب(الترجمة) ، من خلال تعريب الكتب و التراث اليوناني والفارسي والهندي الى اللغة  
العربية ، لانهم كانوا يجيدون اللغة العربية وغيرها من اللغات ( اليونانية،الفارسية ، الهندية) ( متر/  
ص86؛ حسن علي / ص135)

يقتضي الاشارة الى ان الفاطميون في مصر قد اهتموا باهل الذمة 0 النصارى واليهود) ، فكان  
بلاط الخليفة الفاطمي عبدالعزيز بالله (344/386هـ) ، قد بالغ في اكرام النصارى، وذلك لان للعزيز  
اصهار مسيحيون، ومنهم ارستس خال السيدة ابنة العزيز بالله، الذي صير بطيركا على بيت المقدس، ومن  
ثم اخوه عازر ارمانبوس العالم المصري الصيدلي (1290/1359هـ) مطرانا على القاهرة ومصر، وكان لهما  
مكانة رفيعة عند الخليفة الفاطمي (العزيز) ، وتقدم مملكته فلا عجب بعد حتى اننا لاحظنا أن الشاعر  
(الحسن بن بشر الدمشقي) واصفا هذه الحالة في عهد الخليفة الفاطمي قائلاً:

تنصر، فالتنصر دين حق عليه زماننا هذا يدل

وقل بثلاثة عزوا وجلوا وعطل ماسواهم فهو عطل<sup>(16)</sup> (المقريزي،

د-ت، ج2/ص123 ، اتعاط الحنفا، 1948/ص87).

لقد استمر الحال عليه في مصر في عهد الخلافة الفاطمية(909/1171م) ، في ترك اهل الذمة  
يمارسون كل حرياتهم وحقوقهم ، فنجد أن الخليفة الفاطمي الظاهر (997/1021م) الذي جاء بعد الحاكم،  
عاد كل شي الى ماكان عليه، فعاد النصارى الى التظاهر باعيادهم وخروج الباغوث الى كنائسهم التي في  
ظاهر المدينة والقاهرة، والخليفة بمصر كان يحضر بمفسه لمشاهدة اجتماعاتهم ويتقدم بصيانتهم<sup>(17)</sup>.  
(المقريزي، ج2/ص125).



لقد عمل (اهل الذمة ) ومنهم النصارى، في بيمارستانات بغداد، معاملة المسلمين، فمنهم من يتولى معالجة المسلمين، كالطبيب سنان بن ثابت (943/880م) وهو الطبيب الخليفة الخاص، الذي عالج مرضى المسلمين في الوباء الحاصل في القرن الرابع الهجري<sup>(18)</sup>. ابن ابي اصيبعة/ 1965، ص187؛ متر / ص92)

واما في حالات الخاصة كحدوث الكوارث الطبيعية ومنها حالات المرض التي تؤدي الى الموت فلكل من المسلمين مقابرهم الخاصة التي يدفنون فيها، ولاهل الذمة النصارى مقابرهم الخاصة التي يدفنون بها، ولكن في حالات خاصة كانوا يدفنون مجتمعين، لايعرف المسلم من النصراني، مما يدلنا أن نقطة هامة وهي كلنا من تراب وشيء واحد، وذلك عندما حدث السيل في تكريت سنة (319هـ-931م)، فغرق حوالي اربعمائة دار وغرق خلقا كثيرا الناس<sup>(19)</sup>. (ابن الاثير، ج8/ ص174)

ولابد من الاشارة أن الدولة الاسلامية قد سمحت (لاهل الذمة) يكون لهم محاكمهم الخاصة، وروساء المحاكم الروحويون، يقومون مقام القضاة الكبار، حتى انهم كتبوا كثيرا من كتب القانون، وكما سمحت الدولة للذمي ان يلي المحاكم الاسلامية<sup>(20)</sup>. (متر/ ص93؛ ابواسحق / ص216)

وكما حدث في سنة (120هـ-738م)، عندما ومما لي قضاء مصر خير بن نعيم، الذي كان يقضي في المسجد بين المسلمين، ثم يجلس على باب المسجد في العصر ليقضي بين النصارى، ومن ثم خصص القضاة للنصارى يوما يحضرون الى منازل القضاة ليحكمو ابينهم، كما فعل القاضي محمد بن مسروق في مصر سنة (177هـ)، الذي ادخل النصارى ليحكم بينهم<sup>(21)</sup>. ( الكندي/ ص35).

##### 5- مظاهر عن التعايش السلمي عن اهل الذمة في المغرب (الاندلس) مثلا :

ولا تختلف بلد الاندلس عن بقية البلاد الشرقية، في تعاملها مع النصارى، فسمحت لهم بالفصل في خصوماتهم بانفسهم، ولم يلجاوا للقاضي الا في مسائل القتل مع تقديم الادلة للقاضي للحكم<sup>(22)</sup>. (ابن القوطية، 1989، ص57؛ العذري، 1943، ج1/ ص74؛ دويدار 1994/ ص126-134)

وقد اشار المورخ الاندلسي ابن القوطية كيف ان هؤلاء النصارى عوملوا معاملة طيبة، وانهم تمتعوا بالحرية الدينية في اقامة شعائرهم الدينية في الكنيسة التي تعد واحدة من الابنية الدينية المخصصة لاهل الذمة (اليهود والنصارى)، وهي مكان تعبدهم ، واقامة صلواتهم وطقوسهم، وهي ليست فقط مكانا دينيا، انما هي تعد مكانا للعبادة واقامة الاجتماعات والطقوس ومراسيم الزواج، واحيانا يتم فيها اختيار الحاكم من قبل

البابا ومباركته له، ، وقد تولى شئونهم في كل مدينة زعيم لهم، يطلق عليه القومس<sup>(23)</sup>، (ابن القوطية، 1989/ ص 38-63)

وقد اطلق على هؤلاء الذميين في فترات متأخرة من تاريخ الاندلس، لقب المستعربين، وكان يطلق عليهم عدة القاب منها (لقب العجم ) على نصارى الاندلس ، كما يطلق عليهم عجم الذمة ويقصد بهم ( كل من لايتكلم اللغة العربية)<sup>(24)</sup>. ( ابن خلدون، 1990/378).

كما ولقي النصارى في مختلف دول الطوائف المعاملة الجيدة نفسها التي كانوا يلقونها في ظل الحكومة المركزية في قرطبة\* في عهد بني امية ( 138-756م) وقد تمتعوا في عهد بني زيري(414-484هـ) في غرناطة بالحماية، فازدهرت أحوالهم ، واشتد ساعدهم وخاصة بعدما تبوءوا الوزير الاول يوسف بن نغزاله اليهودي(ت 459هـ ) وهو الكاتب والحاجب والوزير والقائم بامور المملكة كلها ، عز اليهود به في غرناطة وجهاتها وكثروا بها ، وتولوا الاعمال والاشراف والاحكام والخراج ، فضاق الناس من ذلك ضرعا ، وضجوا الى الله تعالى بالدعاء في دفع ما نزل بهم من ارتفاع اليهود عليهم ، فصنع الشيخ الفقيه ابو اسحاق الالبيري (ت في ق 5 هـ) قصيدة يوبخ فيها باديس بن حبوس على تقريبه لليهود الى ان تم قتله، واما في عهد الامير عبد الله بن بلقين (464-484هـ) الذي مال الى الاعتماد على العديد من النصارى القشتالين واکابر الفرسان لكي يساعده في شؤون الحرب والادارة.<sup>(25)</sup> (ابن سعيد، المغرب، 1997، ج2/ص90) (ابن الخطيب، الاحاطة، 1973، ج1/ص432-434).

نتوصل من هذا النص بعد مقتل الوزير نغزاله اليهودي وعلو مكانته وشانه وتقريبه من قبل حبوس بن باديس، حتى ان شان اليهود ارتفع في عهد هذا الوزير الذي اصبح بيده امور الدولة الهامة كالخراج، فاراد الامير عبد الله بن بلقين (464-484هـ)، ان يحد من نفوذ وتسلط اليهود في غرناطة من خلال الاعتماد على الفئة المستعربة( المسيحية) من خلال الاعتماد عليهم في الشؤون الحربية والادارية.

مما يبدو ان العلاقة بين المسلمين والنصارى كانت طبيعية ، حتى انها شاعت المصاهرة بين الفئتين، ولكن زواج المسلمين من الاسبانيات فاق بكثير زواج الاسبان من المسلمات وتلك ظاهرة اجتماعية توضح مدى التأثير الاسباني على عقول وعواطف عرب الاندلس ومسلميها ، ولا بد من الاشارة الى ان التأثيرات كانت متبادلة بينهم وبين مسلمي الاندلس لاسيما غرناطة فبرغم رجحان كفة ميزان المسلمين الكبير في التأثير، فان النصارى استطاعوا الى حد ما ان يؤثروا في الثقافة الاسلامية وفي حياة المجتمع الاندلسي، ودليل تآثر المسلمين بهم التزامهم يوم الاحد من كل اسبوع عطلة رسمية مشاركين في ذلك نصارى بلدهم

من جهة ، ومخالفين مسلمي الشرق من جهة ثانية، وقد تم ذلك في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الثاني (238-273هـ) وظل معمولاً به على الاقل حتى (أواخر 5هـ / 12م) ، وكان أول من سن لكتاب السلطان واهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم الاحد كاتب الرسائل والتخلف عن حضور قصره (أي قصر الامير محمد) قومه بن انتينان كاتب الرسائل للامير محمد وكان نصرانيا دعا الى ذلك لئسكه ، فتبعه جميع الكتاب طلب الاستراحة من تعبهم والنظر في امورهم ، فانتحوا ذلك ، ومضى الى اليوم عليه، وقال المقري : اصبح المنصور العامري(327-392هـ) صبيحه الاحد ، وكان يوم راحة الخدمة الذي اعفوا فيه من قصد الخدمة.<sup>(26)</sup> (دويدار، 1994، ص 40).

ومما يبدو كيف أن المسلمون قد تركوا اهل الذمة يمارسون حقوقهم بحرية عندما نلاحظ نماذجاً لابنية النصراني مستوحاة من الفن الاسلامي ، حيث أورد المؤرخ المحدث عنان في احدي كتاباته عن الكنائس ذاكرا " ان العديد من الكنائس الاسبانية والبرتغالية الاثرية، ترى فيها خطة المسجد واضحة في عقودها واروقتها، واقامت ابراج كثير من الكنائس الشهيرة على نمط المنارة الاسلامية، فنرى مثالا مصلى دير الهولجاس، والدير الملكي في برغش\* : (في بلاد الروم، بالقرب من مدينة ليون، مدينة كبيرة يفصلها نهر، لكل جزء منها سوروهي حصينة منيعة ذات اسوار، كثيرة الكروم، الادريسي ، 1968، ج1، ص 237) وقد صنعت على الطراز الاسلامي، وعليها قبة مقرنصة الزخارف، وحتى عندما سقطت الاندلس، فقد اصبح السكان ناقلين للفنون الاسلامية، فضلا عن ان غرناطة (مدينة بالاندلس قديمة بقرب البيرة، من احسن مدن بلاد الاندلس، واحصنها وامنعها، ومعناها الرماننة بلغة الاندلس، يشقها نهر قلزم، وهو النهر المعروف الذي يلفظ مجراه برادة الذهب الخالص، ينظر: الزهري، 1968/ ص 49) التي كانت ترسل العرفاء ( كالمهندسين في الوقت الحالي ) الى مملكة قشتالة، ليقوموا باصلاح الصروح الاسلامية القديمة في المدن الاندلسية القديمة التي استولت عليها قشتالة فيما بعد".<sup>(11)</sup> (محمد عبد الله، 1943/ ج3، ص 298).

### الاستنتاجات:

من خلال البحث توصلنا الى العديد من النتائج :

- 1- هي فئة مهمة ( اهل الذمة ) التي تشكل جزءا من الدولة الاسلامية مركزين على بعضا من المدن (بغداد/ مصر / الاندلس) لربما لان اعدادهم كانت كبيرة.

- 2- تمتع اهل الذمة بكافة حقوقهم التي كفلتها لهم الشريعة الاسلامية متمثلة بشخص الرسول (صلى الله عليه واله وصحبه وسلم) وخلفائه من بعده والبقاء على ممارسة دياناتهم تحت الحكم الاسلامي.
- 3- ومن نتائج اعطاء الحقوق لاهل الذمة نشا علم مقارنة الاديان المقصود به (دراسة الملل والنحل).
- 4- تبوء اطباء اهل الذمة مكانة هامة فاصبح البعض منهم الطبيب الخاص للخليفة او الحاكم.
- 5- لقد سمح لهم الاسلام بممارسة الاعمال مع المسلمين تحت رعاية المجتمع الاسلامي ، فمارسوا اعمال الصيرفة والتجارة ، حتى انهم اصحاب املاك كالضياح مثالا على ذلك.
- 6- كان لاهل الذمة دورا هاما في التعريب (الترجمة) اي ترجمة الكتب المختلفة الى اللغة العربية، لانهم يتقنون اكثر من لغة.

#### المصادر

- 1- الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني، (ت 560هـ)، (1968)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط1، عالم الكتب، بيروت.
- 2- ابن الاثير، عزالدين ابوالحسن علي بن محمد الجزري، (ت630هـ)، (1966)، الكامل في التاريخ، دارصادر، بيروت.
- 3- ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس ابي القاسم ابن خليفة، (ت668هـ)، (1965) عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزاررضا، بيروت.
- 4- ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيدالله، (ت300هـ)، (د-ت) مسالك الممالك، مكتبة المثنى، بغداد.
- 5- ابن الخطيب، لسان الدين ، (ت776هـ)، (1973)، الاحاطة في اخبار غرناطة، ط2، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
- 6- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت808هـ)، (1971) العبرو ديوان المبتدوا والخبرفي ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة لاعلمي، بيروت.
- 7- (1990) ، المقدمة، دار صادر، بيروت. (1990).
- 8- الزهري ، ابو بكر ، (1968) ، الجغرافيا، تح: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي، دمشق.
- 9- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك، (ت685هـ)، (1997) ، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 10- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ)، (1970) ، تاريخ الرسل والملوك، تح: ابراهيم ابوالفضل، بيروت.
- 11- ابن عبد الحكم، ابوالقاسم عبدالله محمد بن عبد الله، (ت257هـ)، فتوح مصر واخبارها، المثنى، بغداد.

- 12- العذري، احمد بن عمر بن انس، (ت478هـ)، (1965)، ترصيع الاخبار وتتويح الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الاهواني، مطبعة الدراسات الاسلامية، مدريد.
- 13- ابن القوطية، ابوبكر محمد، (ت367هـ)، (1989)، افتتاح الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط2، دارالكتاب اللبناني، بيروت.
- 14- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف، (1908)، الولاة والقضاة، بيروت.
- 15- المقرئ، تقي الدين احمد بن علي، (ت845هـ)، (د-ت)، المواعظ والاعتبار والاثار، المعروف بالخطط المقرئية. مصر.
- 16- (1948)، اتعاظ الحنفا بذكر الائمة الخلفاء، نشر: جمال الدين شيال، القاهرة.
- 17- ابن هشام، ابو محمد عبد الملك المعاقري، السيرة النبوية، (1972)، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- 18- ابويوسف، يعقوب بن ابراهيم، (182هـ)، (130هـ)، الخراج، بولاق.
- 19- ابواسحق، رفائيل بابو، (1960)، احوال النصارى في بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد.
- 20- حسن، ابراهيم حسن، (1985)، الحضارة العربية الاسلامية، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت.
- 21- دويدار، حسين يوسف، (1994)، المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، (138-422هـ)، ط1، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة.
- 22- عنان، محمد عبدالله، (1943)، دولة الاسلام من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة، ط1، القاهرة.
- 23- متر، ادم، (1967)، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، لبنان.
- 24- الوردى، علي، مهزلة العقل البشري، (2006)، ط1، منشورات ثامن الحجج، قم.